مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية | رت م د إ: 2588-2236 | العدد 18/ ديسمبر 2019 | ص 28 - 45

قراءة سيكولوجية تحليلية لمظاهر وآثار العنف المدرسي.

Vision Reading the analytical psychology of the manifestations and effects of school violence.

الطالبة: فاطمة بن سماعيل، *

طالبـــة دكتـــوراه،

كلية العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة،

جامعة قاصدي مرباح ورقلة/ الجزائر،

Sarasahraouia1@gmail.com

أ.د/ محمـــد بوفاتـــح،

أستاذ التعليم العالي،

كلية الآداب واللغات،

جامعة عمّار ثليجي الأغواط/ الجزائر،

Mboufateh@yahoo.fr

تاريخ الارسال: 2018/06/10 تاريخ القبول: 2019/12/08 تاريخ النشر: 2019/12/31

ملخص:

غدت المؤسسة التربوية التي كانت إلى عهد قريب صرحا ومنهلا للعلم والأخلاق، ونظاما يعوّل عليه في ترسيخ القيم والمبادئ أرضية خصبة ومرتعا سهلا لارتكاب أشكال العنف والاعتداء؛ مما سبب قلقا لدى المتعلّمين والمعلّمين والإدارة المدرسية وأفراد المجتمع ككلّ، لقد عُدّت هذه الظاهرة مشكلة تؤرق التربويين والمختصين في مجالات شتى كعلم النفس، الاجتماع والقانون من أجل إيجاد سبل وطرق للتخفيف أو الحد من انتشارها.

انطلاقا من هذا الطرح جاءت دراستنا الحالية لتبحث في موضوع العنف المدرسي بالمؤسسات التربوية كمحاولة لإظهار البنية السيكولوجية لمظاهر وآثار هذه الظاهرة على المتعلم والمعلّم باعتبارهما القطبان الرئيسان لنجاح أو فشل العملية التربوية.

الكلمات المفتاحية: العنف؛ العنف المدرسي؛ المعلّم؛ المتعلّم.

Abstract

The educational institution, whichuntilrecently has become a source of knowledge and ethics and a reliable system for establishing values and principles, has become fertile ground and an easy means to commit violence and aggression in recent decades. This has caused concern among learners, teachers, school administration and members of society as a whole. Educators and specialists in various fields such as psychology, meeting and law in order to find ways and means to mitigate or limit their spread.

* **الطالبة/ فاطمة بن سماعيل،** *Sarasahraouia1@gmail.com*

Based on this thesis, our current study is to examine the issue of school violence in educational institutions as an attempt to show the psychological structure of the manifestations and effects of this phenomenon to the learner and teacher as the main poles of the success or failure of the educational process.

Key words: violence; school violence; teacher; student.

مقدمـــــة:

إن تعقّد الحياة المعاصرة وضغوطها أثّر على البناء السّليم للأسرة والمجتمع، إذ نتج عنه خلل في أداء أدوارهما على النّمط السّوي، ممّا تمخّض عنه سوء التّوافق النّفسي والاجتماعي للأفراد خاصّة في المواقف الحياتيّة المختلفة، فانعكس سلبا على الصّحّة النفسيّة للأبناء خاصّة في مرحلتي الطّفولة والمراهقة التي تعتبر من أهم مراحل نمو الفرد، ونظرا لكون المدرسة جزء لا يتجزأ من المجتمع ولا يمكن عزلها عنه، فقد تأثرت بهذه التغيرات والأحداث، وبرزت ظواهر اجتماعية خطيرة الأثر على الطفل من بينها ظاهرة العنف والتي تعد خطرا حقيقيا يمسّ ويهدّد كيان المجتمع، فقد أصبحت المدرسة وكونها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتي تعمل على إعداد المتعلم تربويا ومعرفيا واجتماعيا ونفسيا تعاني من هذه الظاهرة، التي تطورت أنماطها وأساليبها حتى وصلت مخلفاتها إلى إحداث الضرر النفسي والمادي بالأفراد والمؤسسات التربوية نفسها، وعملت على إعاقة المدرسة على القيام بالدور المتوقع منها نتيجة إسهامها في خلق مناخ منعدم الأمن داخلها؛ بل قد امتد الضرر خارج أسوارها مترجمة في سلوكيات منافية ومضادة للمجتمع بشكل وبائي خطير.

مشكلة الدراسة:

يمثل العدوان والعنف ظاهرة بشرية عرفها الإنسان منذ أن خلقه الله سبحانه وتعالى ليعمّر الأرض، وذلك عندما قتل قابيل أخاه هابيل إرضاء لشهوته وطاعة نفسه، فقال تعالى: "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ."[1]

وقد تعددت مظاهر العنف وتنوعت أشكالها وآثارها مع التحولات الاجتماعية من عهد إلى آخر إلى أن ولجت الأوساط التربوية، فقد أشار الخميسى(2000) إلى وجود مؤثرات معرفيـة وعقليـة، واجتماعيـة، وأخلاقيـة، وثقافيـة يمكن أن تؤثـر سلبًـا في شخصية الفـرد الذي تضطلع التربيـة بتكوينـه، وقد يكـون مصدر هذه المؤثرات السلبية خارجيًا (من

المجتمع المحيط) أو داخليا (من الوسائط التربوية ذاتها)،[2] وقد سلط تقرير الأمم المتحدة العالمي المعني بالعنف ضد الأطفال الضوء على العنف في المدارس وبيئات التعليم الأخرى كظاهرة عالمية (بينهيرو، 2006) تتألف أعمال أو تهديدات العنف المرتبطة بالمدرسة من العنف النفسي والبدني والجنسي، وتحدث الأعمال أو التهديدات المذكورة في المنشآت المدرسية.[3]

وفي الجزائر تفاقمت هذه الظاهرة في الوسط المدرسي والذي يشمل بصفة خاصة العنف الممارس من طرف الطلبة والتلاميذ ضد أساتذتهم في مؤشر خطير لتنامي هذه الظاهرة التي تعطي صورة مصغرة عن تراجع أداء المنظومة التربوية الجزائرية، في ظل نزوع الكثير من أبنائها إلى العنف الذي لم يكن يحدث في الماضي داخل المؤسسات التربوية إلا في حالات شاذة ومرتبطة بوقائع معينة لا أكثر ولا أقل، وفي دراسة أعدها أحمد حوتي والتي أكد فيها أن العنف ينتقل من الأسرة إلى المجتمع ومن المجتمع إلى المدرسة، وأثبتت الدراسة أن **49,5%** من التلاميذ انتقل إليهم العنف من المجتمع عن طريق صور الإجرام والسرقة والقتل التي باتت مشاهد يومية ألفها المراهقون، كما تؤكد أن نسبة **36**% من الطلاب انتقل من الأسرة بسبب التفكك الأسري، وغياب الرقابة والافتقار إلى الرعاية والأمان العائلي، وأن نسبة **13,5**% من المبحوثين انتقل إليهم العنف عن طريق المؤسسات التربوية، حيث تعرض أكثر من **25%** من الطلاب للسرقة، كما بينت الدراسة أن نسبة **72**% من الطلاب يشاهدون أفلام العنف بعيدا عن رقابة اولياء أمورهم،[4] وقد توالت الدراسات في هذا الشأن نتيجة استفحال الظاهرة وانتشارها بشكل رهيب والتي أصبحت تهدد الارتقاء بعمليتي التعليم والتعلم ونجاح غايات جودة التعليم والوصول إلى تحقيق مبتغى مدرسة الاحترام والذي يعد توصيفا مؤسساتيا يستند على صفة الهيبة كسلوك يتمظهر عبر جملة من المواقف والسلوكيات الإيجابية.

وأمام هذا الواقع المعقد والذي يمس فئة مهمة لبناء المجتمع، جاءت دراستنا الحالية لتبحث في موضوع العنف المدرسي بالمؤسسات التربوية كمحاولة منا لفهم البنية السيكولوجية لهذه الظاهرة.

أهميّة الدّراسة: تتجلى أهمية الدّراسة الحاليّة في:

- معرفة البنية السيكولوجية لمظاهر وآثار العنف في الوسط المدرسي وتحديدا بالنسبة للمتعلم والمعلّم باعتبارهما القطبان الرئيسان لنجاح أو فشل العملية التربوية،

- الإشارة إلى أهمية الموضوع (العنف المدرسي) فيتحمل الوسط المدرسي مسؤوليته ويضطلع بدوره الإيجابي في تربية النشء والتوصل إلى برامج وخطط علاجية للتخفيف من حدة سلوك العنف داخل المؤسسات التربوية.

منهج الدراسة:

استخدمنا المنهج الوصفي بأسلوبه الاستقصائي التحليلي للدراسات السّابقة والتّراث النظري حول ظاهرة العنف المدرسي، حيث قمنا بتحليلها ودمج نتائجها بهدف الوصول إلى مقاربة نظريّة ذات صبغة إجرائية تمثّلت أساسا في محاولة إبراز تأثير العنف المدرسي على البناء النفسي للمتعلم والمعلم.

حدود الدراسة:

تقتصر الدّراسة الحاليّة على توضيح المفاهيم المحيطة بالعنف المدرسي، والتفسيرات السيكولوجية لآثار العنف المدرسي على المتعلم والمعلم.

أولا: العنف

I/ مفهوم العنف

1/ التعريف اللغوي

نجد في لسان العرب أن كلمة "عنف" في اللغة العربية تتفرع من الجذر(ع.ن.ف)، وتعني الخرق بالأمر وقلة الرفق به وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره.[5]

وجاء في قاموس روبرت (*Le Robert*) العنف أن تتصرف على شخص أو تجعله يتصرف ضد إرادته، باستعمال القوة أو التخويف، وهذا التعريف يشير إلى العنف كسلوك أو فعل، أما العنف كحالة فهو قوة فضة لإخضاع شخص ما، وهو أيضا استعداد طبيعي للتعبير عن الأحاسيس بفضاضة وقسوة.[6]

أما كلمة عنف(*Violence*) في اللغة الفرنسية فهي مشتقة من اللفظة اللاتينية(*Vis*) التي تدل على الاستخدام غير الشرعي للقوة، فالعنف استخدام للقوة دون سند شرعي ورفض للقانون والعدالة والخنوع لأي سلطة، فهو خاصية الشخص الذي يقهر، أو لا يمكن ترويضه، كما يعرف قاموس لوجيندر(*Legendre* ,2005) العنف من

الوجهة النفسية والاجتماعية والتربوية بأنه الاستعمال المفرط أو الفظ للقوة من قبل شخص أو جماعة تجاه شخص أو جماعة من الأشخاص، كما هو الحال مثلا بالنسبة إلى السلطة التي يمارسها الراشد تجاه الأطفال.[7]

ومصطلح العنف في **قاموس الطب النفسي** إشارة إلى اهتمام الطب النفسي بدراسة سلوك العنف من عدة جوانب، ومنها الجذور البيولوجية، والدوافع النفسية، والعوامل الأخرى وراء سلوك العنف مثل تأثير العقاقير والبيئة، والعنف كأحد حالات الطوارئ النفسية (*Psychiatric emergency*) في المرضى العقليين وارتباطه ببعض الأمراض مثل الهوس والفصام والذهانات العضوية كالصرع واضطراب الشخصية المضادة للمجتمع *Antisocial* ، ووسائل التنبؤ بالعنف والوقاية والعلاج باستخدام الأدوية مثل مضادات الذهان(*Antipsychotics*)، ومضادات التشنجات (*Anticonvulsants*) مثل كاربامازبين *Carbamazepine*.[8]

2/ التعريف الاصطلاحي

يظل تعريف العنف تعريفا نسبيا لارتباطه بجملة من العوامل التي تؤطره، كالعوامل البيئية والثقافية والسياسية ونظرا لتعدد التناول من علماء النفس إلى الاجتماع فالقانون وتوجهات ورؤى مختلفة ومتباينة، وتزداد صعوبة تفسيره تفسيرا عاما لتباين أنواعه ودواعيه والنظريات المفسّرة له.

ومصطلح العنف من المصطلحات المتداولة فهو ظاهرة تنطبق عليه كل سمات الظاهرة الاجتماعية، وهو أيضا مشكلة تعني الخروج عن المألوف تتسم بالنسبية ورغم تناول كثير من المفكرين والباحثين لمفهوم العنف بشكل موسع إلاّ أنهم لم يتفقوا على تعريف موحد بسبب ارتباط مصطلح العنف بعدد من الجوانب كالعدوان والإثم والضرر إما جسديا أو نفسيا أو الاثنين معا ومن حيث ارتباط العنف بالعدوان.[9]

إذ يعرف دافيدوف (1983) العنف بأنه أي عمل يهدف إلى إلحاق الضرر بالناس أو الأشياء وأضاف باندورا في العنف (*Bandura* ,1973) أنه السلوك الذي يهدف فاعله إلى إحداث نتائج تخريبية أو مكروهة أو إلى السيطرة على الآخرين بالقوّة الجسدية أو اللفظية.[10]

II/ التداخل بين مفهوم العنف وبعض المفاهيم الأخرى

1/ العنف والاعتداء:

عن التعريف المتداول بخصوص العنف يجعله غير مختلف عن الاعتداء عندما يتعلق الأمر بالتصورات والسلوك بين الأشخاص، ووجود نية إحداث الضرر، وعندما يتعلق الأمر بوجود خصائص أخرى فإن الاعتداء يختلف عن العنف، فالاعتداء قد تكون له قيمة عندما يكون سلوكا تكيّفيا، أو عندما يهدف إلى الحفاظ على بقاء النوع، ممّا يجعله بدون شك يختلف عن العنف، فليس هناك ما يبرر، يرى أندروسون وبوشمان (*Anderson et Bushman*,2001) أن كل عنف إلا ويعتبر اعتداء، غير أن كل اعتداء ليس عنفا. يثير العنف الانتباه من خلال نتائجه المتطرفة، كما هو الحال في القتل أو الهجوم الجسمي الحاد. ويمكن أن يوجه العنف إلى الغير كما هو الحال في الحرب أو الاغتصاب أو المعاملة السيئة، كما قد يوجد العنف في بعض الحالات نحو الذات. إن الأشخاص المتسمين بالعنف هم الذين يعتدون في غالب الأحيان على الغير أو يتخذ اعتداءهم شكلا قويا.[11]

2/ العنف وإساءة معاملة الطفل:

يستخدم بعض الباحثين العنف والإساءة بالتبادل بوصفهما مترادفان إلا أنهما مستقلان، إذ يمكن تعريف الإساءة بأنها سلوك وأفعال مستهجنة وغير مرغوب فيها، يقوم بها الفرد المعتدي عن قصد بهدف إلحاق الضرر والأذى الجسمي أو النفسي أو الجنسي للضحية مما يؤدي الى ظهور نتائج نفسية واجتماعية خطيرة على شخصية الضحية، أو هي استجابات سلوكية متنوعة من الإيذاء الجسمي أو الجنسي أو اللفظي أو النفسي يمارسها طرف أو شخص معتد يكون في مركز قوة أو سلطة لإجبار الطرف الآخر وهو الضحية كالأطفال في الأسرة، على القيام أو الامتناع عن سلوكيات معينة. إذن فلمفهوم الإساءة جوانب جسمية ونفسية وجنسية فالإساءة ضد الطفل عبارة عن الضرر الذي يلحق بالطفل بشكل مقصود من الوالدين أو القائمين على رعايته سواء في صورة إساءة جسمية أو انفعالية أو جنسية أو في شكل إهمال يشمل الإخفاق في تقديم الغذاء والملبس المناسب للطفل والإهمال الصحي والتربوي له، أما العنف فهو سلوك يلجأ اليه الإنسان لتحقيق حاجاته الأساسية نتيجة الإخفاق والفشل في إشباع الحاجات الفيزيولوجية.

والعنف اجتماعيا يعني الإكراه، فهو فعل يهدف عن قصد إلى إحداث الألم والضرر الجسمي للشخص الآخر، ويقتصر على النواحي الجسمية في المقام الأول لكنه يؤدي إلى أضرار نفسية واجتماعية، لذا فالاعتداء والهجوم الجسمي يعد شرطا ضروريا للعنف، في حين أن الإساءة قد ينتفي فيها الاعتداء الجسمي ويكون السلوك مسيئا كما في حالة السخرية والإهمال للطفل، أي أن معظم حالات العنف تعد إساءة في حين أن معظم حالات الإساءة قد لا تعد عنفًا.[12]

3/ العنف والعدوان

العنـف	العـدوان
يكون في الغالب صورة من الصور العدوان، وهو محدود وواضح.	أوسع وأشمل من العنف وقد يكون في بعض الأحيان سلوكا غير واضح.
يستخـدم القـوة ليعبر عن نفسـه.	ليس بالضرورة أن يتخذ مظهر القوة فقد يكون نقاشا حادًا.
قد يتخذ مظهر السيطرة على الغير وإخضاعه وإذلاله.	السيطـرة وإخضـاع الآخـرين وإحداث الضـرر المـادي بهم
الحـد من حريـة الآخرين.	الحـد من حريـة الآخرين.
قد يكون سبب العنف عاملا معينا يزول بزواله.	العدوان سلوك وطبع يلازم الشخص العدواني.
قد يكون العنف وسيلة من وسائل الدفاع عن النفس وحماية الذات.	العدواني يرتكب سلوكه لإيقاع الاذى بغيره.

جدول رقم (01): يمثل التمييز بين العنف والعدوان.[13]

ثانيا: العنف المدرسي

I/ تعريف العنف المدرسي

عرفه طه عبد العظيم(2006) بأنه سلوك مرضي يقوم به بعض الطلاب نتيجة تحول المدرسة عن القيام بأدوارها ووظائفها المختلفة من المناخ النفسي والتربوي الإيجابي الذي يسود مجتمع المدرسة ويساعد في النمو النفسي والاجتماعي للطلاب ويعمل على اكسابهم المعرفة والمهارات والاتجاهات والأنماط السلوكية السوية إلى بيئة غير أمنة يشعر فيها الطلاب بالخوف

لما يحدث فيها من أفعال وسلوكيات غير سوية عدوانية متنوعة تتمثل في المشاغبة والمضايقات والاعتداءات الجسمية واللفظية على بعض الأقران من الطلاب او بعض المدرسين داخل المدرسة.[14]

ويعد العنف المدرسي من أكثر المشكلات السلوكية انتشارا في الوسط التربوي، وهو ما يهدد سيرورة نجاح عمليتي التعليم والتعلم وضبط النظام داخل الحرم المؤسساتي مما يثبط تحقيق أهداف مشروع المدرسة ككل من تحصيل دراسي ومعوقات للتقويم الجيد ومرتكزات تعلمية عديدة.

II/ مظاهر وأشكال العنف داخل المدرسة

بشكل عام فإن مفهوم العنف المدرسي يتضمن بعض مظاهر العنف الواقع داخل المدرسة والمتمثلة في:

1/ العنف المادي: ويشمل على:

- **العنف الجسدي:** وهو نمط سلوك يقع بين الطلبة يتمثل في إحداث المسيء لإصابات عمدية مثل الصفع والركل واللكم والدفع والرمي أرضا والخنق والجرح والطعن والضرب بأداة حادة والقتل؛
- **العنف ضد ممتلكات المدرسة:** ويتمثل بالتكسير والتخريب والتدمير، والإضرار بالمنشآت المدرسية ومرافقها والملصقات الجدارية والكتابة على الجدران والمقاعد وغيرها.

2/ العنف المعنوي:

ويعد من أخطر أنواع العنف إذ يظهر بصورة غير محسوسة وملموسة وبطرق غير مباشرة تعمل على إضعاف ثقة الطالب بنفسه ويبرز من خلال النقد المتكرر والتهكم والسخرية والإهانة والبذاءة واللغة المهينة والاستعمال الدائم للتهديد والوعيد وله آثار مدمرة على الصحة النفسية للطالب ويتجسد بمظهرين هما العنف اللفظي والتهديد.[15]

وقد حدد **هويدي(2016)** مظاهر العنف المدرسي والذي شكلت نتائج إحصائياته حسب وزارة التربية الوطنية ما نسبته 82% من إجمالي المشكلات شيوعًا بالوسط المدرسي إلى:

- **القضايا الاخلاقي:** ألفاظ بذيئة وشتائم، تحرش جنسي، الاختطاف...

- **قضايا السرقة:** سرقة مباشرة بالقوة، ابتزاز...
- **قضايا الضرب والاعتداء الجسدي:** الاعتداء على المدير، أو المعلم، أو الطالب، محاولة القتل، استخدام السلاح، الأدوات الحادة للتهديد، تدمير ممتلكات الآخرين، كما أن الاعتداء بالضرب على الآخرين يكون خارج المدرسة، يستخدم فيها العصي والسكاكين، حيث تأخذ طابع التعصب للأقران أو النسيج الاجتماعي القبلي، وأخذت المرتبة الأولى بين مظاهر العنف.[16]

3/ وسائط التربية ومسؤولياتها عن تفشي ظاهرة العنف المدرسي

تعتبر التنشئة الاجتماعية من أهم الوسائط التي يحافظ بها المجتمع على خصائصه وعلى استمرار هذه الخصائص عبر الاجيال، وهذه التنشئة هي التي تحمي الطالب من الميولات غير السوية، ولأسرة الطالب الدور البالغ الأهمية في تشكيل سلوكه والأثر الحاصل في بناء شخصيته منذ ميلاده إلى مراحل ممتدة في حياته، فالطالب الذي لم يلق الرعاية الكافية والمناسبة من والديه أكثر خلقا للمشكلات السلوكية من أقرانه الذين يتمتعون بحب والديهم، فبإمكان الأبوان أن يتحكما في السلوك غير السوي ويعدلانه عن طريق التحكم في العائد من السلوك، كما تسجل ظواهر العنف المدرسي بحدة في مناطق معزولة والأحياء المهمشة؛ إذ تظل الظروف الاجتماعية من أهم الدوافع لممارسة فعل العنف وعوامل مستوى الأسرة الاقتصادي المتدني وانتشار الأمية وظروف الحرمان الاجتماعي معززات لزيادة التوتر وردود فعل للطلاب غير معقلنة.[17]

وتوضح نظرية الضبط الاجتماعي أن الأسرة تعتبر من أهم مصادر الضبط الاجتماعي، لذلك فإن تغيّب الآباء عن الأسرة يؤدي إلى ضعف القيود على الأبناء وعدم تعلمهم الطاعة والامتثال الأمر الذي يؤدي إلى عدم ضبط سلوكهم، فكلما تم تدعيم التكامل الأسري، زادت قدرة الأسرة على ممارسة الضبط وحماية أبنائها من التيارات المنحرفة أو السلوك المنحرف.[18]

والمدرسة باعتبارها الحاوي الثاني للطفل لها من الأثر البارز لظهور وزيادة حدة العنف من نظام المدرسة القاهر (*Contraignant*) المتعلق بالتوقيت أو البرنامج أو بنظم الأدوات والوسائل المستعملة، واهتمامها المتكرر بالطلاب الناجحين وإهمالها للطلاب ذوي المستويات المتدنية، أو قد ينضم المتعلم إلى مجموعة من الزملاء المنحرفين داخل مدرسته أو خارجها، أو

كذلك لانعدام وجود قيادة مدرسية فعالة وناجعة قادرة على التأثير والتوجيه والتحكم وإحداث التفاعل الإيجابي داخل الوسط المدرسي.

وأضاف **أوزي(2014)** أن الإدارة المدرسية العمودية والتسلطية التي لا تشارك الفاعلين التربويين بها هي إدارة ليست تشاركية ولا تساعد لا المدرسين ولا التلاميذ على تحمل المسؤولية وتقديرها؛ مما يجعلهم يحسّون بالتهميش والشعور بعدم الانتماء إلى المؤسسة التي يعملون بها، فالمدرسة التي لا تتوافر على فضاء عمراني فسيح وبهيج يساعد على الإحساس بالجمال ويتيح فرصة ممارسة الأنشطة الترفيهية والرياضية، هي مدرسة توحي بالتوتر والقلق والنّفور وتثير بالتالي مشاعر العنف والكراهية لدى تلاميذها.[19]

وفي الوقت الحاضر كذلك وسائل الإعلام لها من التأثير كشريك للأسرة والمدرسة في تربية النشء فأصبحت أشكال العنف والعدوان الذي تعرضه هذه الوسائل باختلاف أنواعها متنوّع، فالمتعلمون في مراحل تعلمهم من الابتدائي إلى الثانوي ومع الخصائص النمائية للطفل وخصوصا المراهق من حدوث تغيرات فيزيولوجية ووجدانية سريعة وما تنجر عنه من تأثيـرات على إدراكـه لذاتـه وللمحيط الاجتماعي حوله فهو يحاول إثبات رأيه وحبه للمغامـرة والاكتشاف، وفي أوقات كثيرة يشاهد ما تبثه شاشات التلفزيون فيقلدون ويتقمصون شخصية الأبطال في أقوالهم وأفعالهم؛ إن لم نقل في اتجاهاتهم وقيمهم أيضا، ولقـد كشفت نتائـج العديد من الدراسات أن تأثير مشاهد العنف يمر بأنواع من التأثير، أهمّها:

- **مرحلة التعرف على العنف ومشاهده**: وفيها توحي أفلام العنف للمشاهدين الصغار أن العنف وسيلة يتم اللجوء إليها لحل النزاعات والصراعات، وأن الأبطال الطيبين يمارسونه دون أدنى حرج؛
- **المرحلة الثانية**، يصبح فيها لصور العنف تأثير لا يجعل الملتقي يتردد في ممارسته؛
- مرحلة يصبح فيها العنف والعدوان أمرا عاديا لا يثير مشاعر الخوف، بسبب تكرار مشاهد القتل وارتكاب القتل وارتكاب الجرائم والصراع والعنف الجسدي.[20]

ويفسر تأثير السلوك العدواني في وسائل الإعلام على أساس التقليد أو النمذجة أي تقليد النموذج العدواني وفق نظرية التعلم الاجتماعي، بمعنى تأثير النماذج الرمزية للعنف المجسد من خلال الأفلام وألعاب الفيديو، ولهذا ظهرت التربية الإعلامية المدرسية بغية فهم وتمحيص الرسائل الإعلامية وتشجيع نمو الوعي النقدي، بتحليل منتجات وسائل الإعلام، واستخدامها كوسيلة للتعبير الإبداعي.

4/ التفسيرات السيكولوجية لمظاهر وآثار العنف المدرسي

مشكلة العنف المدرسي أكثرا تشابكا وتعقيدا من تحميل المتعلم مسؤولية حدوث هذه الظاهرة وانتشارها، وإعطاء تفسير أحادي الطرف دون إحداث فحص وتمحيص متناهي الدقة للبحث في كل الأطراف المحصلة لوجوده، والكشف عن مسبباته داخل المؤسسة التربوية.

يمكن تفسير ظاهرة العنف المدرسي من عدة مناح بشكل عام، فالمنحى الأول: ويركز على شخصية المعلم والمتعلم، فالمعلم المضطرب انفعاليا، يمكن أن يكون سببا في هذا العنف، وكذلك المتعلم الذي يتسم بسمات انفعالية غير سوية، أما المنحى الثاني يتعلق بالتفسيرات الاجتماعية ويركز على القيم الاجتماعية لدى المعلم والمتعلم، فالثقافة السائدة تعزز التسلط والعنف، والمنحى الثالث يتعلق بالمواقف التفاعلية بين المعلم والمتعلم، وأن ما يحدث من عنف قد يكون عرضيا ناتجا عن المواقف النفسية، وقد يكون ناتجا عن خطأ ارتكبه المتعلم، أو الحالة المؤقتة للمتعلم.[21]

أ/ سيكولوجية المتعلم:

من المظاهر السلوكية عند المتعلم الممارس للعنف والتي أشار إليها الخولي(2008) والمضادة للمجتمع هي تلك الموجهة ضد الذات كالغياب عن المدرسة والهروب منها والتدخين والتأخر الدراسي والإدمان وتلك الموجهة ضد الزملاء كالمشاجرات، والموجهة لمعلميهم كالاعتداءات، والموجهة ضد النظام مثل كسر القوانين المدرسية والموجهة للمبنى المدرسي مثل اتلاف بعض محتوياته،[22] كما أن العنف الموجه للمتعلم إما من زملائه أو الإدارة المدرسية أو المعلم الأثر الواضح في خلق القسوة في نفسية المتعلم، كما يعمل العنف على تحطيم شخصيتهم وتدني مفهوم الذات لديهم، إضافة إلى توليد حالة الاكتئاب عندهم فقد توصلت دراسة فولنجستاد (*Follingstad*,1992) إلى أن ما نسبة 82% من الطالبات اللواتي لديهن حالة اكتئاب هن اللواتي مورس معهن العنف، ويترتب على هذا عدم احترام الطلبة لمعلميهم وبالتالي كرههم للمدرسة، وتظهر الأثار السلوكية للعنف المدرسي أيضا في السلوك العدواني، الخوف، العصبية، عدم الراحة، النوم في الصف، الانسحاب، مشكلات مع الأقران وضعف في المشاركة، كما توصلت دراسة لشيلد (*Shield ,1994*) إلى أن المتعلمين الذين تعرضوا

للعنف من قبل المعلمين أكثر اضطرابا في تنظيم انفعالاتهم وسلوكهم ويميلون إلى أن يكونوا أقل جدارة من الناحية الاجتماعية مقارنة بالمتعلمين الذين لم يتعرضوا للعنف.[23]

وقد أشار**طه عبدالعظيم حسن(2006)** إلى بعض الآثار النفسية للطفل ضحية للعنف من الاضطرابات النفسية مثل: الكوابيس المتكررة القلق، الغضب، العدوان، الشعور بالذنب، المخاوف المرضية بشكل مفاجئ مثل الخوف من الظلام، ويعانون من الأعراض السيكوسوماتية، ويظهر لديهم التبول اللاإرادي، الخوف الشديد، كما تظهر لديهم أعراض أخرى كانخفاض تقدير الذات والشعور بالعجز وعدم الاستحقاق وضعف الثقة بالنفس وتكوين صورة سلبية عن الذات، واضطراب الشعور بالهوية وكراهية الذات علاوة على ذلك تظهر لديهم الأعراض الاكتئابية، الانسحاب الاجتماعي، العزلة الاجتماعية وأفكار تدميرية تفكيكية ومحاولات انتحار مستويات مرتفعة من القلق والوحدة والغضب، العدائية، كذلك إدراك الخطر والتفكير غير المنطقي وتتكون لديهم صورة غير دقيقة عن العالم الخارجي ويكون لديهم صعوبة في التفكير.[24]

وقد بيّن دنيال سبوني(**1998**, *Daniel Sibony*) الروابط بين العنف وقلق المتعلم، وبين العنف واضطرابات الهوية بما في ذلك القضايا النرجسية المرتبطة بها، وبين العنف والظلم وأكّـد أنّ أصل كل عنف هو تجـاوز واختراق القوانين سواء أكانت أسريّة أو مجتمعيّة، وفي نفس المنظور أرجع جاك باين (*Jacques Pain*) أسباب العنف المدرسي إلى وضع علائقي مع قضايا نرجسية والقلق مما يجلب العدوان وأضاف(*Eric Debarbieux*) أن مقاومـة العنف المدرسي لا يعتمـد بدرجـة كبيرة على نوعيـة الروابـط الاجتماعية القائمة بين العاملين في المدرسة فحسب بل بين المدرسة وجوارها ويشدد على خطر تأثير المناخ المدرسي في السلوك العنيف.[25]

فنظرية (الإحباط _ العدوان) عرضت وجود ارتباط بين العدوان والإحباط، فالعنف يصبح قويا وبطريقة مكررة، في ظروف مثيرة للقلق، وعادة ما يكون الإحباط حيث وبدون سبب واضح، يعاني الطفل من عدم ارتياح متزايد لدرجة أنه لا يمكنه أن يترجم معاناته في الكلمات والأفكار فيلجأ إلى العنف باعتبـاره مسألـة هروب من تجربة لا تحتمل وعدم القدرة على علاجها بطريقة مناسبـة، فحل التوتـر عنده القيـام بدور نشط بعد سلبية مؤلمة وهو ممر إلى الفعل: رمي مـا عندنا، كسر شيء ما أو مهاجمة الآخ. يميـز الفعل العنيف الاحساس والإدراك والمهارات الحركية على حساب الفكر واللغة، في نوع من الجسد إلى الجسم على نحو

متناقض وقد يسعى التمثيل أيضًا إلى التعبير عن شيء ما بشكل رمزي وبذلك يعد تنفيسا عن قوى الإحباط الكامنة.[26]

كما تلخصت وجهة نظر أحد رواد نظرية التعلم الاجتماعي باندورا (*Bandoura*) فيتفسر العدوان، أن معظم السلوك العدواني متعلم من خلال ملاحظة وتقليد الأقران والنماذج الرمزية كالتليفزيون، بالإضافة إلى اكتساب السلوك العدواني من الخبرات السابقة، مع تأكيد هذا السلوك من خلال المكافأة والتعزيز، وأيضا إثارة الطفل إما بالهجوم الجسدي أو بالتهديدات والإهانات أو إعاقة سلوك موجه نحو هدف أو تقليل التعزيز أو إنهائه وهذا قد يؤدي إلى العدوان، كما أن العقاب قد يؤدى إلى زيادة العدوان أيضا.[27]

ب/ سيكولوجية المعلم

من أشكال العنف المدرسي الممارس من المعلم إلى المتعلم، العنف الجسدي كالضرب، شد الشعر، القرص الصفع، والعنف النفسي كالإهانة، الإذلال، السخرية من المتعلم أمام زملائه، احتجازه في الصف، القساوة في التخاطب معه، انتقاده باستمرار، التمييز بين متعلم وآخر، والعنف الجنسي ويتدرج من استعمال كلمات ذات دلالات جنسية إلى الملامسة الشاذة لبعض أعضاء جسم المتعلم وصولا إلى التحرش.[28]

في هذا الاتجاه يركز علماء النفس المعرفيين على الجانب المعرفي والانفعالي في تفسير السلوك العنيف وخاصة الأفكار العدوانية والمعتقدات التي تقف وراء ممارسة هذا السلوك، حيث يرون أن العنف قد يكون ممتعا إذ أن بعض الأشخاص يستمتعون بإيذاء الآخرين بالإضافة إلى منافع أخرى، فهم يستطيعون إثبات رجولتهم ويوضحون بأنهم أقوياء وذوو أهمية وأنهم يكتسبون المكانة الاجتماعية من ذلك كله، ولهذا فإن معظم السلوكيات العنيفة تظهر بدون تفكير، وأن الأفكار والمعتقدات تتدخل بشكل فعال في ظهور المشاعر والانفعالات، والأفكار هي المحددات الضرورية لردود الأفعال المختلفة.[29]

فالمعلم يتعامل مع التلاميذ من مختلف المستويات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وكما يختلف التلاميذ في مستوياتهم وخلفياتهم الاجتماعية، فهم يختلفون أيضا في قدراتهم الفردية في التعلم والتفاعل مع المواقف التعليمية والمعلم إذا حكمته الأهواء والنزعات الشخصية في تعامله مع تلاميذه اجتماعيا أو تعليميا أدى ذلك إلى شيوع الكراهية والتباغض بين التلاميذ،[30] كما أنه في كثير من الأحيان يُحترم التلميذ الناجح ولا يعطى أهمية للتلميذ

الفاشل تعليميا حسب نظرية الدوافع هو الدافع الرئيس وراء العنف إذ أنه بواسطة العنف يتمكن الفرد الذي شعر بالعجز أن يبث قدراته الخاصة، فكثير ما نرى العنف ناتج عن المنافسة والغيرة،[31] فهذه الممارسات الخاطئة من المعلم مع استمراريتها قد تؤدي إلى ظهور العنف مع احتمالية عدم وجود حماية للمتعلم من الأسرة كالخوف من إبلاغ ولي الأمر، أو فقد كلي للمساندة الاجتماعية له.

والمعلم الذي لا يتوافر على مشاعر المحبة الصادقة لتلاميذه ولا يتفهم سلوكهم ويحاول مساعدتهم على النمو والنضج وتقديم الإرشاد والتوجيه الذي يجنبهم الوقوع في مشاكل العنف ودوامته لا يرقى إلى مستوى المعلم الذي نرغب فيه ليكون مربيا قبل أن يكون ملقنا للمعلومات والمعارف التي يمكن لعدة قنوات غير المدرسة أن تقوم بتلك المهمة بكيفية أفضل وأجود.[32]

اقتراحـــــات:

بناءً على ما توصلنا إليه من خلال دراستنا فإننا نقترح ما يلي:

- ✓ إعداد دورات تدريبية مشتركة بين الأولياء والإدارة المدرسية حول آليات تعديل السلوك عند المتعلمين وخلق بيئة آمنة ومواتية للتعلم؛
- ✓ وضع خطط وبرامج وقائية وعلاجية مناسبة من المختصين النفسانيين بمؤسسات الصحة المدرسية، وذلك بتقديم خدمات الرعاية التي يمكنها أن تجد حلولا لإدارة العنف داخل المدارس؛
- ✓ إعادة النظر في سياق أنظمة مجالس التأديب داخل المدرسة ليتخذ مبدأ نظام تعديل سلوكي وقائي من مختصين نفسانيين لا عقابي، والتكثيف من حصص الإصغاء للمتعلمين المعرضين للعنف؛
- ✓ العمل على تحديد القانون العام للمدرسة وإيلاء الاهتمام بمعرفة كل من أطراف العملية التعليمية لحدود واجباته وحقوقه والعمل بها حتى يتجنب الدخول في صراعات منتهاها العنف؛
- ✓ تفعيل الأنشطة الثقافية والرياضية داخل الوسط المدرسي واعتماد أنظمة* التحفيز للمتعلمين المتخلقين.

الخاتمة:

تبقى ظاهرة العنف بشكل عام والعنف المدرسي بشكل خاص ظاهرة عامة تدركها المجتمعات بمختلف توجهاتها واختلاف دياناتها ومستوياتها متصدرة الواقع الاجتماعي التربوي وكامنة في البنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما يظل الجدل قائما حول العنف المدرسي لإيجاد آليات مجدية لفهم ظاهرة العنف المدرسي، ولا يكفي فقط معرفة مفهومها أو خصائصها؛ وإنما يتعداها إلى فهم سبب تفاقمها في وسط تربوي وآخر منعدم تماما أو نسبي إلى حد ما، ومن ثم إيجاد تدابير دقيقة وعاجلة لتلاشي هذه الظاهر ؛ فالعنف في البيئة المدرسية معرقل لمهام وأدوار التربية، مثبط للقيام بوظيفتها على أحسن وجه، معطّل لسيرورة الدروس، مهدر للوقت المخصص لاكتساب المعارف وتنمية قدرات المتعلمين وبناء كفاءاتهم، فالحياة المدرسية هي بالأساس حياة مجتمعية يسودها الأمان والسلم، وبالتالي فإن العنف المدرسي بمختلف مظاهره وأسبابه يستدعي الدراسة العلمية المتأنية، فهدم المؤسسة التربوية يعد هدما وانهيارا للبناء المؤسساتي ككلّ.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المراجع العربية

- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، دار صابر، بيروت، لبنان، 2005.
- أحمد أمين محمد حسين، فعالية برنامج إرشادي قائم على العلاج المعرفي السلوكي في خفض سلوك العنف لدى الأطفال الصم، مجلة كلية التربية، العدد،18، جامعة بورسعيد، مصر، 2015، ص ص455-492.
- أحمد أوزي، سيكولوجية العنف، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2014
- القرآن الكريم، سورة المائدة: الآية 30.
- إيهاب عيسى المصري ومحمد طارق عبد الرؤوف، العنف المدرسي مفهومه، أسبابه، علاجه، ط 1، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، 2014.
- سوسن شاكر مجيد، العنف والطفولة دراسات نفسية، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2008

- السيد سلامة الخميسى، التربية والمدرسة والمعلم قراءة اجتماعية ثقافية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2000.
- طه عبد العظيم حسين، سيكولوجية العنف، المفهوم، العلاج، الدار الصولتية للتربية، الرياض، السعودية،2006.
- عبد الباسط هويدي، المنظومة التربوية الجزائرية من خلال تطبيق استراتيجية التدريس عن طريق مقاربة الكفاءات، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع عمان، الأردن، 2016.
- محمود سعيد الخولي، العنف المدرسي الأسباب وسبل المواجهة، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2008.
- مصطفى الشربيني، معجم مصطلحات الطب النفسي، سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة، مركز تعريب العلوم الصحية.
- منظمة اليونسكو، التقرير العالمي لرصد التعليم، التعليم من أجل الناس والكوكب: بناء مستقبل مستدام للجميع،2016.
- نصر الدين جابر ورحيمة بن سماعين، مظاهر إساءة معاملة الأطفال في الجزائر، الملتقى الدولي الرابع العنف والمجتمع، جامعة بسكرة، نوفمبر،2010.
- وليد توفيق عياصرة، ظاهرة العنف المدرسي لدى طلاب مدرسة الحكمة الأردنية، دراسة نوعية، مجلة كلية التربية، المجلد 24، العدد 02، أسيوط مصر،2008.

ثانيا: المراجع الأجنبية

- http://journals.openedition.org/sejed/7439.
- Jean-Louis Le Run. (Janvier, 2012). Les mécanismes psychologiques de la violence, Enfances et Psy, (54) pp 23- 34.
- Laurence Thouroude. (2012). Violence scolaire : climat de prévention et direction d'établissement, *Sociétés et jeunesses en difficulté*, (13), consulté le 13 fervrier 2018.
- Le robert, dictionnaire historique le robert, paris, nouvelle édiction, 1993.

الهـــوامـش:

[1] القرآن الكريم سورة المائدة: الآية 30.

[2] السيد سلامة الخميسى، التربية والمدرسة والمعلم قراءة اجتماعية ثقافية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2000، ص123.

[3] منظمة اليونسكو، التقرير العالمي لرصد التعليم، التعليم من أجل الناس والكوكب: بناء مستقبل مستدام للجميع،2016، ص312.

[4] محمود سعيد الخولي، العنف المدرسي: الأسباب وسبل المواجهة، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2008، ص54.

[5] ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، دار صابر، بيروت، لبنان، 2005، ص41.

[6] Le robert,dictionnaire historique le robert ,paris1993,p2261

[7] أحمد أوزي، سيكولوجية العنف، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2014، ص ص10-11.

[8] مصطفى الشربيني، معجم مصطلحات الطب النفسي، سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة، مركز تعريب العلوم الصحية، ب س، ص203.

[9] إيهاب عيسى المصري ومحمد طارق عبد الرؤوف، العنف المدرسي مفهومه، أسبابه، علاجه، ط 1، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، 2014، ص10.

[10] وليد توفيق عياصرة، ظاهرة العنف المدرسي لدى طلاب مدرسة الحكمة الأردنية دراسة نوعية، مجلة كلية التربية، المجل د24، ال عدد02، أسيوط مصر،2008، ص398.

[11] أحمد أوزي، مرجع سابق، ص 16.

[12] نصر الدين جابر ورحيمة بن سماعين، مظاهر إساءة معاملة الأطفال في الجزائر، الملتقى الدولي الرابع العنف والمجتمع، جامعة بسكرة، 2010، ص01.

[13] أحمد أوزي، مرجع سابق، ص16.

[14] طه عبد العظيم حسين، سيكولوجية العنف، المفهوم، العلاج، الدار الصولتية للتربية، الرياض، السعودية،2006، ص ص 183- 197.

[15] إيهاب عيسى المصري ومحمد طارق عبد الرؤوف، مرجع سابق، ص52.

[16] عبد الباسط هويدي، المنظومة التربوية الجزائرية من خلال تطبيق استراتيجية التدريس عن طريق مقاربة الكفاءات، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع عمان، الأردن، 2016، ص ص51-52.

[17] محمود سعيد الخولي، مرجع سابق، ص 65.

[18] عبد الباسط هويدي، مرجع سابق، ص 49.

[19] أحمد أوزي، مرجع سابق، ص 76.

[20] المرجع السابق، ص41.

[21] وليد توفيق العياصرة، مرجع سابق، ص396

[22] محمود سعيد الخولي، مرجع سابق، ص 86.

[23] وليد توفيق عياصرة، مرجع سابق، ص 397.

[24] طه عبد العظيم حسين، سيكولوجية العنف، المفهوم، العلاج، الدار الصولتية للتربية، الرياض، السعودية،2006، ص64.

[25] Laurence Thouroude.(2012) . Violence scolaire : climat de prévention et direction d'établissement, Sociétés et jeunesses en difficulté, (13), consulté le 13 février 2018. http://journals.openedition.org/sejed/7439

[26] Jean-Louis Le Run.(Janvier,2012).Les mécanismes psychologiques de la violence, Enfances et Psy, (54) p30.

[27] أحمد أمين محمد حسين، فعالية برنامج إرشادي قائم على العلاج المعرفي السلوكي في خفض سلوك العنف لدى الأطفال الصم، مجلة كلية التربية، العدد،18، جامعة بورسعيد، مصر، 2015، ص 466.

[28] محمود سعيد الخولي، مرجع سابق، ص90.

[29] أحمد أمين محمد حسين، مرجع سابق، ص466.

[30] السيد سلامة الخميسى، التربية والمدرسة والمعلم قراءة اجتماعية ثقافية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2000، ص268.

[31] سوسن شاكر مجيد، العنف والطفولة دراسات نفسية، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص280.

[32] أحمد أوزي، مرجع سابق، ص76.